كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

الشاعر إيليّا أبو ماضي وغدير الخمائل

إعـداد
أ.م. د. محمد عبد الجبار العزاوي

الطبعة الاولى
٢٠٢٤

منشورات

مركز البحوث والدراسات والنشر

كلية الكوت الجامعة

٨١١ / ٩٠٥٦٢٠٧

ع ٥٢٩ العزاوي ، محمد عبدالجبار .

الشاعر ايليا ابو ماضي وغدير الخمائل / محمد عبدالجبار العزاوي . - ط١ . - بغداد : مطبعة كلية الكوت الجامعة، مركز الدراسات والبحوث ، ٢٠٢٤

١١٠ ص ؛ ٢٤ سم .

١-الشعر العربي - لبنان - دراسات

٢. ابو ماضي ، ايليا (شاعر لبناني) - أ - العنوان

رقم الايداع ٢٣٤٠ / ٢٠٢٤

المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٢٣٤٠ لسنة ٢٠٢٤م

الرقم الدولي: ISBN: 978-9922-685-84-7

ملاحظة

مركز البحوث والدراسات والنشر في كلية الكوت الجامعة غير مسؤول عن الافكار والرؤى التي يتضمنها الكتاب والمسؤول عن ذلك الكاتب او الباحث فقط.

Al-Kut University College Printing Press

مطبعة كلية الكوت الجامعة

التمهيد

التمهيد

منذ أواخر القرن التاسع عشر ، شرعتْ تنزح إلى بلاد كولمبوس ، جماعات من أبناء البلاد العربية ولاسيما من لبنان وسوريا، بعضها هرباً من جور الأتراك ، وبعضها انتجاعاً للرزق ، وبعضها الثالث للسببين معاً ، وبين تلك الجماعات المهاجرة ، كانت طائفة من الشبان ، الذين تتوافر بين جوانحهم قلوب متوثبة للحرية، وفي رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب ، أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي ، الذي عزّ عليه أن يعيش أسيراً للظلم والعوز ، فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء وهؤلاء هم أدباء المهجر .

وقد هاجر بعضهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فعرفوا بأدباء المهجر الشمالي ، وهاجر آخرون إلى البرازيل على ضفاف الأمزون فعرفوا بأدباء المهجر الجنوبي .

ومن هاتين الفئتين قامت (مدرسة أدب المهجر) .

ذلك الأدب الذي وصفه جورج صيدح ، فيما وصفه بأنه (أدب طفل) ولد مع القرن العشـــرين بعد أن تمخضـــت به الجاليات العربية زهاء نصف قرن في أمريكا .. وعن شعراء هذه المدرسة قال الأســتاذ الدكتور طه حســين (قوم منحوا طبيعة خصــبة، وملكات قوية وهم مهيأون ليكونوا شـــعراء مجودين ، ولكنهم لم يستكملوا أدوات الشعر فجهلوا اللّغة أو تجاهلوها ثم اتخذوا هذا الجهل مذهباً) !

وكانت مدرســـة المهجر الشـــمالي ، متحررة من التأثر بمقاييس الأدب العربي وتقاليده ، وأن لم تتحرر من موازين شعره غالباً ، كما كانت متحررة من التأثر بالمجد العربي القديم والمفاخرة به أو التحســـر عليه ، وبالتالي كانت متحررة من الانتماء إلى القومية العربية ، من بعيد أو قريب ... ولاســـيما كاهن هذه المدرســـة المهجرية الشـــمالية (جبران خليل جبران) الذي وصُـف[1] بأنه (لم يؤمن قط بفكرة القومية العربية بل كان

[1] عيسى الناعوري وكتابه (إيليا أبو ماضي) .

من ناحية الشـــعور القومي ، لبنانياً إقليمياً وإلاّ فهو انســـاني واسع العاطفة).

فلا عجب إن كان من خصومه ، أعضاء مدرسة المهجر الجنوبي الذين كانوا يعتزون أيما اعتزاز بأدبهم العربي القديم ويعتصـــمون بقيمه وتقاليده ، وموازينه ومقاييســـه ، كما كانوا يعتزون بالمجد العربي العريق ، اعتزازاً عبروا عنه بتســـمية جماعتهم (العصـــبة الأندلســـية) منذ ولادتها عام (١٩٣٣م) ، على حين ان الشـــماليين دعوا جماعتهم (الرابطة القلمية) منذ انشـــائها عام (١٩٢٠م) ، ولم يشـــذ منهم عن التنكر لقوميته العربية إلاّ (أمين الريحاني) الرائد القومي العظيم مؤلف (ملوك العرب)، وصاحب (الريحانيات) والخصم الأول في هذه الناحية لجبران خليل جبران ، ومن خصـــومه كذلك غضـــباً للقومية العربية الياس فرحات ، الذي قال في جبران ، وفي الرابطة القلمية ما قال من هجاء ترونه في (رباعيات فرحات) .

وبعد تأسيس الرابطة القلمية ، والعصبة الأندلسية أطلقوا على تلك الرابطتين اسم (مدرسة المهجر) ومن خصائص تلك

المدرسة ... الموضوعية ، الحنين والشوق إلى الوطن والدفاع عن القضايا المتعلقة به ، من منطلق أن الشعراء جزء لا يتجزأ منه ،إذ فاضت قصائدهم بمشاعرهم الجياشة التي تتغنى بجمال الوطن وتعبّر عن مرارة الغربة ، وقد اشترك شعراء المهجر الجنوبي والشمالي بهذه الصفة .. كذلك التحاور مع الطبيعة والامتزاج بها ، وبث روح الحياة في مظاهرها ، واسقاط ما يجول في أنفسهم من مشاعر الحزن والخوف والحب عليها وكانت الطبيعة ملاذاً يجدون فيه الراحة والسعادة.

وكان من أبرز أعضاء الرابطة ... شاعرنا مدار دراستنا (إيليا أبو ماضي) .

حياة الشاعر

حياة الشاعر

ولد إيليا أبو ماضـــي في قرية (المحيدثة) [1] لأبوين عربيين مسـيحيين ووالده اسـمه ظاهر ، عُرف ببشـاشـته وحبه للناس ، رقيق الحال ، كان منصـــرفاً إلى عمل ريفي يمارســه أهل تلك المنطقة في ذلك الزمان ، وهو تربية دود القز والعناية بالتوت ، وكان يعول أسرة مكونة من ستة أولاد وزوجته سلمى.

تلقى أبو ماضـــي تعليمه الأولي في مدرســـة قريته (المحيدثة) ثم ترك المدرسة في سن الحادية عشرة متوجهاً إلى (الإسكندرية) والقاهرة ساعياً إلى تحصيل الرزق ، فاشتغل في بيع الســـجائر والعمل التجاري منذ عام (١٩٠٢م) مع أخيه الأديب (مراد أبي ماضـــي) في الوقت الذي اسـتغل فيه أوقات فراغه في المطالعة والدرس ونظم الشـــعر ، وكان يهوى الأدب ويحضـر ندواته ومجالسه ويكتب في صـحفه ومجلاته ويشـارك

---

[1] قرية لبنانية تقع على مقربة من بكفيا ، أي في منطقة عُرفت لدى الجغرافيين باســـم (المتن الأعلى) في جبل لبنان، وهي المنطقة الشهيرة بصفاء مناخها ووفرة مياهها .

الشـــعراء في تذوقه وفهمه متأثراً في موســـيقاه الحلوة بمدرســـة شـعراء الإسـكندرية ، وقبل أن يبلغ العشـرين من العمر أصـدر ديوانه الأول باسم (تذكار الماضـي) عام (١٩١١م) الذي طبع في الإسكندرية .

وكان لهذه الســـنوات تأثيرٌ على شـــاعريته ، شـــأنه في مصـر شـأن غيره من شـعراء العصـر الحديث ، يسـتلهم شـعر العصـر العباسـي ، ويحاول أن يقلد شـعراء الاتجاه المحافظ في مصـــر في أســـاليبهم ، إلى أن تطور شـــعره وأصـــبح له طابع شعري خاص ينماز به، فنظم الروائع مثل قصيدة (أبنة الفجر) و (فلسفة الحياة) و (في الليل و(الخلود) .

في عام (١٩١٢م) هاجر مع عائلته إلى العالم الجديد مقيماً في مدينة (سينسيناتي أوهايو) الأمريكية ... تاركاً الأخت مع والديها في تلك القرية ، بعيداً عن دنيا الأدب.

لكنه رأى أن الإقامة في (سـينسـيناتي أوهايو) ، لن تؤمن لـه مـا يبتغيـه فرحل إلى (نيويورك) ، وفيها نشـــطت قريحته

الأدبية إذ أســهم في الرابطة العلمية التي أنشــأت في نيويورك والتي تولى رئاستها جبران خليل جبران ، فأصـدر منها دواوينه الشـــعرية الثلاثة (الجداول) عام ١٩٢٧ الذي طبع في مطبعة مرآة الغرب في نيويورك ، والذي قدم للديوان ميخائيل نعيمة و (الخمـائـل) عـام ١٩٤٦ و (ديوان إيليـا أبـي مـاضـــي) عـام (١٩١٦م) والـذي طبع في نيويورك. وديوان (تبر وتراب) تلك الدواوين التي أحدث بها تجديداً في الكلمة الشـــعرية، جعلها تتســـع لمضـــامين الحياة الاجتماعية ، والفكرية والمشـــكلات النفسية من دون أن تخرج من إطار الوضوح والبساطة .

عمل محرراً لجريدة (مرآة الغرب) من عام (١٩١٨) حتى عام ١٩٢٨م) .

أصدر مجلة (السمير) الأسبوعية عام ١٩٢٩ م .

النزعة التأملية

مفهوم النزعة التأملية

المصطلح اللغوي لمفهوم النزعة :

جاء في لسان العرب : (نازعتني نفسي إلى هواها : غالبتني ، ونزعتها أنا : غلبتها.

ويقال للإنسان إذا هوى شيئاً ونازعته نفسه إليه : هو ينزع إليه نزعاً ، وانتزع النية بعدها.

ومنه : نزع إلى أهله ، والبعير على وطنه ينزع نزاعاً ونزوعاً ، حنّ واشتاق ، وهو نزوع ، والجمع نُزع .

والنزاع : الغرباء ، وفي الحديث : طوبى للغرباء ، قيل : مّنْ هم يا رسول الله ؟ قال : النزاع من القبائل ، وهو الذي نزع عن أهله ، وعشيرته ، أي بَعُد وغاب .

وفي تاج العروس : ومن المجاز : نزع الغريب إلى أهله نزاعة كسحابة، ونزاعاً بالكسر ونزُوعاً بالضم : أي حنّ واشتاق ..

قال الشاعر :

لا يمنعك خفضُ[١] العيش في دعةٍ[٢]

نزوع[٣] نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ

تلقى بكل بلادٍ إنْ حللتَ بها

أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

النزعة في مفهوم الاصطلاح الأدبي :

يلاحظ ان المعاجم والموسوعات الأدبية التي وقفت عليها لم تتطرق إلى مفهوم النزعة بصفتها لفظةً مفردة ولا إلى مفهومها بصفتها لفظةً إلى التأمل ، إلا أن تلك المعاجم والموسوعات أوردت مفهوم النزعة موصوفة بكلمات أخرى تحمل دلالات معينة ومن ذلك :

(النزعة الإنسانية والنزعة البدائية والنزعة الجمالية وغيرها من النزعات الأخرى).

---

[١] خفض العيش : لينه

[٢] الدعة : السكون .

[٣] النزوع : الاشتياق .

التأمل في الاصطلاح النفسي :

هو (توجيه الذهن صـــوب التجارب والمفاهيم والمدركات والأفكار ، والتركيز عليها بغية اكتشـــاف علاقة جديدة أو استخلاص نتائج يسترشد بها (الفعل في المستقبل) .

والنفســـانيون – هنا – جعلوا التأمل عقلياً يهدف إلى الكشف عن علاقات جديدة أو الخلوص إلى نتائج معينة ، يفيد منها التأمل في مســتقبل أيامه ، ويبدو لي – أيضــاً – أنه قد يفيد الانســان بغض النظر عن شــاعريته أو عدمها من تأمله ناحية نفسية أخرى تنصب في استمتاعه الذاتي لهذه التأملات سواء في اللحظة نفسها أم في المستقبل.

وفي الاصطلاح الفلسفي :

هو (استعمال الفكر بخلاف التدبر الذي هو تصرف القلب بالنظر إلى العواقب ، والتأمل لهذا المعنى مرادف للنظر والفكر، ومقابل للفاعلية والنشاط (العملي) .

- يلاحظ من المفهوم الفلسفي السابق اقترابه من المفهوم اللغوي الذي تطرقنا اليه فالتأمل في كلاهما مرادف للنظر والتفكر .

أمّا في الموسوعة الفلسفية العربية :

فقد عُرف التأمل بأنه نظر عقلي محض لموضوعات لا (يمكن أن تقع تحت مراقبة الحواس) .

- ويلاحظ أن أصحاب الموسوعة الفلسفية العربية بالغوا عندما فصلوا العلاقة بين التأمل والتفكر ، وذلك لشدة ارتباطهما ببعض ، ومفهوم التفكر لديهم ما هو إلاّ تركيز الذهن حول موضوع معين ووصفه من الخارج ، وتفسيره والتوسع في شرحه وقد يكون بالإحاطة بمميزاته وأنواعه ، في حين أن التأمل يحاول أن يغوص في أعماقه ليستجلي كنهه (الأخير، ومعناه الأعمق) .

التأمل في الاصطلاح الأدبي :

وهو ما يهمنا في هذه الدراسة (يراه حالة من الاستغراق الذهني في عملية جدّ واعية لتداعي الصور والأفكار) .

وفي معجم المصطلحات الأدبية :

هو (استغراق الذهن في موضوع تفكيره إلى حد يجعله يغفل عن الأشياء الأخرى بل عن أحوال نفسه (وعند بعض صوفية القرون الوسطى) .

أقوال في التأمل :

١-حالة من الاستغراق الذهني في عملية جدّ واعية لتداعي الصورة والأفكار .

٢-حُلم اليَقظة أو حالة الإنسان الذي يستسلم عفوياً ، بين الوعي واللاوعي لما يمّر به في خاطره من أخيلة ومعانٍ مُختَلَطة ومُتداخلة[١].

❖ كنت أحسب التأمل كل شيء في حياة الأديب وكُنت أعتقد أن حياتي ستمضي قراءةً كلُّها وتفكيراً [٢] .

❖ تَحَّدث أفلوطين عن عزلة الحكيم الذي يمارس التأمل وانفراده بنفسه الحُبلى بحقائق مزروعة فيها منذ فِطرتها[٣] .

❖ إنّ النزوع من الأشخاص والحوادث إلى أفكار ترتقي منها وتُمثلها أو ترمز إليها في المُطلق ، لا يتيسر إلا للحضريّ الذي خَبَر التأمل الطويل[٤].

---

[١] التأمل : جبور عبد النور / المعجم الأدبي ص ٥٩-٦٠ .

[٢] الحكيم من البرج ، ص ١٤.

[٣] خالد ، جبران ، ص ٢٣٨ .

[٤] حاوي ، فن الوصف ، ص ٦٩ .

أدب المهجر

مدرسة أدب المهجر

لمحة عن أدب المهجر

يطلق أدب المهجر على الأدب الذي أنشـأه العرب الذين هاجروا من بلاد الشـام إلى أمريكا الشـمالية والجنوبية ، وكونوا جاليات عربية ، وروابط أدبية أخرجت صـــحفاً ومجلات تهتم بشـــؤونهم وأدبهم ، ومن أبرز شـــعرائهم وكتابهم جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة ، إيليا أبو ماضـــي. والذين تفرغوا للأدب والصـحافة ، ويلاحظ غلبة الاتجاه الإنساني على سائر اشـعار إيليا أبو ماضـي ، ولاسـيما الشـعر الذي قاله في ظل الرابطة القلمية ، وتأثر فيه بمدرسة جبران .

من خصائص أدب المهجر

أولاً : في المضمون :

١- **النزعة الإنسانية** : تمثلت نظرة أدباء المهجر إلى الشعر في أنه تعبير عن موقف إنساني وأن له رسالة سامية ينقلها الشاعر إلى الناس ، فيهذب نوازعهم الشريرة ويستثير فيهم دوافع الحق والخير والجمال .

٢- **المشاركة الوجدانية** : غلب على شعراء هذه المدرسة استبطان الشاعر لنفسه وتعمقه في فهم أسرارها وخفاياها ، وانعكاس هذا الاستبطان النفسي في مشاركة وجدانية للناس يضفي فيها الشاعر تجاربه ونوازعه وخواطره ويشاركهم في انفعالاته .

٣- **النزعة الروحية** : تظهر في تأملاتهم في الكون وأسراره واستشرافهم إلى الآفاق الروحية ، وإلى الله يتضرعون إليه بالشكوى ، ويلتمسون منه النجاة من خضم الحياة المادية الجارفة وشرورها .

٤- **الاتجاه إلى الطبيعة** : اتجه شـــعراء المهجر إلى الطبيعة يجدون فيها ملاذاً من هجير الحياة وصـــوراً لما تجيش به نفوسهم من احساسات واندمجوا فيها فاضفوا عليها الحياة حتى صارت عناصر حية في تجاربهم الشعرية ، تتفاعل معهم ويتفاعلون معها.

٥- **الحنين إلى العالم العربي والمشـــاركة في أحداثه** : كان طبيعياً أن تظهر هذه النزعة في شـــعرهم لبعدهم عن أوطانهم وإحساسهم بما تعاني من آلام وتخلف اجتماعي ورغبتهم في أن تنهض هذه الأوطان وتســـاير ركب التقدم الحضاري .

ثانياً : في الشكل والأداء :

١- تأكيد الوحدة الموضوعية والبنائية للقصيدة .

٢- الأداء النفسي للمعاني التي تجول بخاطر الشاعر بحيث تكون التجربة الشـــعورية الذاتية لا الموضـــوع الخارجي هي نقطة الانطلاق إلى الإبداع الشعري .

٣- اللغة وسيلة للأداء الشعري وليست غاية في ذاتها .

٤- الاكثار من استعمال الشكل القصصي في القصيدة .

٥- التصرف في نظام الوزن العروضي التقليدي .

٦- إيثار اللغة الحيّة النابضة والأسلوب السلس والتراكيب الهادئة البعيدة عن الصخب.

الرابطة القلمية

- بدأت فكرة تأسيس الرابطة القلمية منذ عام (١٩١٦م) ، وفي عام (١٩٢٠م) تم تأسيسها .. وهي عبارة عن جمعية أدبية قام بإنشائها مجموعة من الأدباء أمثال : جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وايليا أبو ماضي ، وضمت مجموعة أخرى من أدباء المهجر اللبنانيين والسوريين .

وقام أعضاء الرابطة بإصدار مجموعة من المجلات منها :

(مجلة الفنون) لنسيب عريضة ، و(مجلة السائح) لعبد المسيح حداد ، فضلاً عن (مجلة السمير) في بروكلين والتي تولاها إيليا أبو ماضي والتي بدأت بصفتها مجلة أسبوعية لتطرح بعدها بشكل يومي . ويأتي إيليا ثالثاً في شهرته بين أعضاء الرابطة بعد جبران ونسيب .

وقد تم تفكيك الرابطة القلمية بوفاة جبران خليل جبران الذي كان يشغل منصب عميد الرابطة عام (١٩٣٢م) .

أما عن شروطها وتأسيسها ونشاطها فهي :

١- أن تدعى الجمعية (الرابطة القلمية) .

٢- أن يكون لها ثلاثة موظفين وهم :

- الرئيس : ويدعى العميد .
- كاتم السرّ : ويدعى المستشار .
- أمين الصندوق : ويدعى الخازن .

٣- أن يكون أعضاؤها ثلاث طبقات .

- عاملين ويدعون عمالاً ، فمناصرين ، ويدعون أنصاراً ، فمراسلين.

٤- أن تهتم الرابطة بنشر مؤلفات عمالها ومؤلفات سواهم من كتاب العربية المستحقين ، وبترجمة المؤلفات المهمة من الآداب الأجنبية.

٥- أن تعطى الرابطة جوائز مالية في الشعر والنثر والترجمة تشجيعاً للأدباء .

أنموذجات من قصائده

١- كن بلسماً [١]

١-كن بلسماً إنْ صارَ دهرُكَ أرقما[٢] وحلاوةً إن صـــار غيرُكَ علقما
٢-إنّ الحيــاةَ حَبتــك كــلّ كنوزهــا لا تبخلنَّ على الحياةِ ببعض ما

- يستهل الشاعر أبياته بطلب إلى الانسان أن يكون بلسماً هيّناً ليّناً حتى ولو لاقاه الدهر بأصــعب الســموم ، وإنْ يكون حلو اللّسان حتى ولو كان غيره ينقط علقماً ومرارة.

٣-أحسِن وإن لم تُجزَ حتى بالثنا أيَّ الجَزاءِ الغَيثُ يبغي إن همى؟
٤-مَن ذا يُكــافئُ زهرةً فّواحــةً؟ أو مَنْ يُثيــبُ البُلبُــلَ المُتَرَنمــا؟
٥-عُدّ الكرامَ المحســنين وقِسْــهُمُ بهمــا نجــد هــذين منهُم أكرمــا

- هنا يُعلم الشــاعر الإنســان أن يبقى محســناً دائماً في جميع أحوال حياته حتى لو لم يتلق شــكراً على إحســانه فهل أحد يُجازي البلبل على زقزقته أو الوردة على رائحتها الجميلة ،

---

(١) الخمائل / ٥٠

(٢) أرقم : هو ذكر الحية ، وهو واحد من أخبث الحيات وأكثرها سميّة.

ولو قارن الانســـان ما بين كل المحســـنين في الأرض وبين العصفور والوردة لوجد أنّ الأخيرين أكرم من المحسنين .

٦-ياصاحِ خُذْ علمَ المحبّة عنهما إني وجدتُ الحبَّ عَلَماً قيّما
٧-لو لم تفحْ هذي وهذا ماشَـــدا عاشـــت مُذَمَّمَةً وعاشَ مُذَمَّما

- عليك يا إنســـــان أنْ تتعلم المحبة من البلبل والزهرة ، وان تعيش وتنشـر تلك المحبة في الأرض ، فلو الزهرة كانت من غير ريح ولم يعد يشـدو البلبل كحاله لذمهما الناس ولم يُنجيا من كلامهم .

٨-فاعمل لإسعاد السوى وهَنائِهِم إن شئتَ تُسعَدَ في الحياة وتَنعُما
٩-أيقظ شُعورَكَ بالمَحَّبة إن غَفا لولا الشُعورُ الناسُ كانوا كَالدُمى

- يؤكد الشاعر أهمية محاولة الإنسان إسعاد غيره ، فلمّا يُسعد الناس هو سـيأتي من يحاول إسـعاده ، ثم يُعرج الشـاعر مرة أخرى على أهمية المحبة في حياة الإنسان وأنهّا أهم ما ينماز به عن الخشب المسندة .

١٠-أحبــبْ فيغـدو الكوخُ كونــاً نيّراً وأبغض فيمسي الكونُ سجناً مظلما
١١-ما الكأسُ لولا الخمرُ غيرُ زجاجةٍ والـمَرءُ لـولا الـحُــبُّ إلاّ أعظُمــا

- ذكر الشاعر في هذا المقام ما ينماز كل شيء هو ما في داخله ، فالكأس تغرب بسبب ما تحويه من الشراب ، والإنسان يُقدر على حب الحب الذي في داخله، ولولا ذاك الحب لكان مجرد كومة من العظام.

١٢-كَرِهَ الدُجى[١] فَاســوَدَّ إلاّ شُــبهُهُ بقيت لتضحَكَ منه كيفَ تَجَهّما
١٣-لو تعشَقُ البيداء[٢] أصبحَ رَمْلُها زَهراً ، وصار سرابُها الخَدّاعُ ما

- يذكر الشــاعر أنّ المحبة تقدر على تحويل كلّ شــيء قاسٍ إلى لين هيّن ، فلو أحبّ الناس الصحراء ، فانّ رحلها سينبت بالزهرِ والريحان وسيكون السراب الخادع ماءً طيباً .

١٤-لو لم يكن في الأرض إلا مبغضٌ لَـبَـرَّمَـت بـوجـوده وتَـبـرّمـا
١٥-لاح الجمــال لــذي نُـهـىً فــأحَبَّــهُ ورآه ذو جـهـلٍ فَظنَّ ورجمَّـا

---

[١] الدجى : الظلمة والسواد .

[٢] البيداء : الصحراء ، والأرض الفلاة التي لا شيء فيها .

- إن الأرض لتكره الإنســـان المُبغض الذي يقيم عليها ، ولو تجسّــد الجمال في إنســان ،فرآه ذا عقل فإنه ســيحبه ويميل إليه، ورآه جاهل فإنّه سيرجمه كما تُرجم الشياطين.

١٦-لا تَطلبنَّ مَحَبّةً مِن جاهل المرء ليس يُحّــبُّ حَتّى يُفهمــا
١٧-وارفقْ بأبناء الغَباء كأنهُم مرضى فأنّ الجهلَ شيءٌ كالعمى

- يؤكد الشـــاعر ، أنّ المحبةَ تحتاج إلى عقل متفتح وذكاء ثاقب، ولا يقدر عليها إلا من اتصـــف بهذه الصـــفات ، أمّا الأغبياء فعلى الانســـان أن يرحمهم ويحزن عليهم ، فالغباء مرض لا شفاء منه .

١٨-والهُ بورد الرَوض[1]عَن أشـــواكه وأنسَ العقـاربَ إنْ رأيـتَ الأنجُمـا
١٩-يـامنْ أتـانـا بـالســـلامِ مبشـــراً هَشّ الحِمى لما دَخَلتَ إلى الحمى

- لو كنـت في الريـاض فـانظر إلى الورد والريـاحين وأنس الأشواك ، ولا تخف من العقارب والسموم إنْ أبصرت النجوم النيرة ، ثم يُعرج الشـاعر على ذكر الرجل الذي تُقال القصـيدة

[1] الروض : المكان الأخضر الذي يكثر فيه الماء .

في حضـــرته وهو المندوب البطريركي المطران ثيودوســـيوس أبو رجيلي ، ويذكر أن دعوته هي السلام ونبذ الطائفية .

٢٠-وصـــفوك بالتقوى وقالوا جهبذٌ علاَّمـةٌ ، ولقـد وجَـدتُـكَ مثلمـا
٢١-لفظٌ أرَقُّ من النَسـيم إذا سـرى سَــحَراً ، وحلوٌ كالكرى إنْ هوَّ ما
٢٢-وإذا نَطَقْتَ ففي الجوارح نشــوةٌ هي نَشوةُ الروح ارتوتْ بَعدَ الظما
٢٣-وإذا كتَبت ففي الطُروس حدائقُ وشـــيَّ حواشـــيها اليراعُ ونمنما
٢٤-واذا وقفتَ على المنابر أوشكتْ أخشـــــابُهـا للزهوِ أنْ تَتَكلّمـا

- هذه الأبيات كلّها تتحدث عن مديح البطريرك المطران ثيودوســـيوس أبو رجيلي ، فيذكر الجميل الذي يدعو إلى المحبة ، ويجعل الأوراق تزهو من تحته ، والمنبر يهتز من نشوته بسبب حديثه الجميل .

٢٥-أنْ كنت قد أخطُأكَ سربالُ الغنى عاش ابنُ مريم ليسَ يَمْلَكُ دِرهَما
٢٦-وأحَـبَّ حتى مَنْ أحـبَّ هَلاكَـهُ وأعانَ حَتى مَنْ أســـاءَ وأجرَما

- ذكر الشاعر في هذا المقام أنّ المال ليس كلّ شيء بالنسبة للإنسان ويضرب مثلاً بالنبي عيسى بن مريم (عليه السلام) وكيف أنه نشر الحب في حياته ، ولم يتخذ موقف العداء من أحد .

الأفكار الرئيسة في قصيدة – كن بلسماً

وردت في القصيدة مجموعة من الأفكار أهمها :

- الدعوة إلى الحب .
- التفاؤل في الحياة .
- الابتعاد عن الكره والبغض والحقد .
- النظر إلى نصف الكأس المملوء هو ما يفعله الأذكياء فقط.
- الحب هو ما ينماز به الإنسان عن الدمية الخشبية .

أما الصور الفنية التي برزت في القصيدة فمنها .

- لولا شعور الناس كانوا كالدمى : شبه الشاعر الخالي من المحبة بالدمية التي لا قلب لها لينبض ، فيسمي الكون سجناً مظلماً .
- وصوّر الشاعر الكون الذي يعيش فيه الإنسان المبغض بالسجن المظلم القاسي .
- إنّ الحياة ليست سوى نص ؛ فلا بد للإنسان أن يقرأه بحب وحكمة وتمعن ، فيترك أثراً جميلاً من خلفه ، ليتذكر الناس

الأريج الفوّاح الـذي خلفّـه وراءه ، فيكون هو بحر الجمـال الذي لا ينتهي .

- فكرة تلمس فكرة .
- بعيد عن التكلف والتصنع .
- رومانسي الاتجاه .
- الطابع الفلسفي يظلل فكره ، وغلبة النزعة التأملية والإنسانية.
- الطابع التفاؤلي صبغ فكره .
- التوظيف للأسـلوب القصـصـي واتخاذ الحوار عطية لنقل الأفكار أو تشخيص الطبيعة الإنسانية .
- وفرة الخيال وقلة المحسنات البديهية .
- التسامح في القواعد النحوية (خاصة الضرورة الشعرية) .
- أما عن الوحدة العضـوية فتعني : (ارتباط الفكرة بالفكرة التي تليها) ، فالفكرة تُمسـك بعنق نظيرتها ، أو بمعنى آخر : أنّ الوحدة العضـوية : في النص أو المقالة أو القصـيدة : تعني لُحْمَة الأفكار ، فكرة تسلمك لفكرة .

٢- هدية العيد[١]

١-أيَّ شـــيءٍ في العيد أُهدي إليكِ
يـا ملاكي وكـلُّ شـــيءٍ لـديكِ؟
٢-أســـواراً ؟ أمْ دُمْلُجاً مِنْ نُضـــارٍ
لا أُحـبُّ القيودَ في مِعْصَـــمَيْكِ
٣-أمْ خموراً ؟ وليسَ في الأرض خَمْرٌ
كـالتي تَسْـــكبينَ مِنْ عينيـكِ
٤-أم ورداً؟ والوردُ أجْمَلُـهُ عنـدي
الـذي قَـد نَشَـــقْتُ مِن خَـدْيكِ
٥-أم عقيقـاً كمُهْجَتـي يَتلظَّى ؟
والعقيقُ الثمينُ في شَـــفَتَيْـكِ
٦-ليس عندي شـــيءٌ أعَزُّ من الروحِ
وروحـي مَرْهونَـةٌ فـي يَـدَيْـكِ

[١] كتاب / اروع ماقيل في الحب والغزل ، اميل ناصـــيف ١١٢ / وهي من القصائد المغناة ٨١٢.

٣- الغدير الطموح[١]

قال الغديرُ لنفسه يا ليتني نهرٌ كبير
مثل الفرات العذب أو كالنيل ذي الفيض الغزير
تجري السفائنُ موقراتٍ منه بالرزق الوفيرِ
هيهات يرضى بالحقير من المنى إلا الحقير
وأنساب نحو النهر لا يلوي على المرج النضير
حتى إذا ما جاءه غلب الهدير على الخرير

[١] الجداول ، ١٠٦ .

٤- أنا وإبني[١]

١-قال ابني وهوَ حـ ـيران بما يُحكى ويُقرأ
٢-كيف كان اللهُ إني قد وجدتُ اللهَ سرَّاً
٣-أسمعُ الناسَ يقو لون بهِ خيراً وشراً
٤-فأفدني ، قلت : يا إبني أنا مثلُ (الناسِ طُرّاً)
٥-ليَ في الصحَّةِ : آرا ءٌ وفي العلَّةِ أخرى
٦-كلّما زحزحتُ ستراً خلتني أسدلُ ستراً
٧-لستُ أدري منك بالا مرِ ولاغيريَ أدري

[١] الخمائل ، ١٠٨ .

٥- أنت والكأس[١]

١-أنتِ والكأس في يدي فلمَن أنتِ في غدٍ؟
٢-فاستشاطتْ لقولتي غضباً في تمرُّدِ
٣-وأشاحت بوجهها وأدّعت أنَّني ردي !
٤-كاذبٌ في صبابتي ماذقٌ في تودُّدي
٥-قلت :عفواً فانّها سَورةٌ من معربدِ
٦-وجرى الصلحُ والتّقى ثغرَها تغريَ الصدي
٧-أذعنَ القلبُ طائعاً بعد ذاك التمرُّدِ
٨-فنعمنا هنيهةً بالولاءِ المجدَّدِ
٩-بين ماءٍ مصفَّق وهَزارٍ مغرّدِ
١٠-ثم عادتْ وساوسي فأنا في تردَّدِ

إلى آخر هذه القصيدة الحائرة بأبياتها الـ (٦٣) بيتاً.

---

[١] الخمائل ، ٨٢ .

٦- لو أستطيع[١]

١-لو أستطيع سكبتُ رو حي خمرةً في كأسها
٢-حتى اذا حالَ النوى بيني وبين كِنَاسها
٣-وتجاهلت أو أنكرتْ أمري لدى جلاسّها
٤-أطللتُ مِن أجفانها وجريتُ مع أنفاسها!

[١] الخمائل ، ٣٩ .

٧- أقبل العيد[١]

أقبـل العيـد ولكن ليس في النـاس المسـره
لا أرى إلاّ وجـوهـاً كـالـحـاتٍ مـكـفـهـره
كـالركـايـا لم تـدع فيهـا يـد المـانح فطره
أو كمثـل الروض لم تترك بـه النكبـاء زهره
وعيونـاً دنفـت فيهـا الأمـاني المسـتحره
فهي حيرى ذاهلات في الـذي تهوى وتكره
وخـدوداً بـاهتـات قـد كسـاهـا الهم صـفره
وشـفاها تحذر الضـحك كأن الضـحك جمره
ليس للقوم حـديـث غير شـكوى مسـتمره
قـد تسـاوى عنـدهم لليـأس نفع ومضـره
لا تسـل مـاذا عراهم كلهم يجهـل أمره
حـائر كـالطـائر الخـائف قـد ضـيع وكره
فوقـه البـازي والإشـراك في نجـد وحفره
فهو إن حط إلى الغبراء شـك السـهم صـدره
وإذا مـا طـار لاقى قشـعم الجو وصـفره
كلهم يبكي على الأمس ويخشـى شـر (بكره)

[١] - قصة الادب المهجري / د. عبدالمنعم خفاجي / ٥٤٢ .

فهم مثل عجوز فقدت في البحر إبره!
أيُّها الشـــاكي الليالي إنّما الغبطة فكره
ربما اســـتوطنت الكوخ وما في الكوخ كســـره
وخلت منها القصـــور العاليات المشـــمخره
تلمس الغصن المعرى فإذا في الغصن نضره
وإذا رفت على القفر اســـتوى ماء وخضـــره
وإذا مســـت حصـــاة صـــقلتها فهي دره
لك ما دامت لك الأرض وما فوق المجره
فإذا ضـــيعتها فالكون لا يعدل ذره
أيُّها الباكي رويداً ! لا يســـد الدمع ثغره
أيُّها العابس لن تعطى على التقطيب أجره
لا تكن مراً ولا تجعل حياة (الغير) مره
إن من يبكي له حول على الضـــحك وقدره
فتهلل وترنم فالفتى العابس صـــخره
ســـكن الدهر وحانت غفلة منه وغره
إنـــه العيد ... وإن العيد مثل العرس مره

٨- ذكــرى[١]

- ولقد ذكْرتُكِ بعد يأس قاتلٍ في صــحوةٍ كثرتْ بها الأنواءُ
- فوجِدْتُ أنّي غَرْســةٌ أو زَهْرةٌ وَوَجِدْتُ أنكِ عاصِــفٌ أو ماءُ

******

- عَذِّبي ما شِـئْتِ قلبي عَذِّبي فعذابُ الحُبِّ أسْــمَى مطلبي
- وأزْرعيــه في فؤادي مِثلمــا يَـزْرَعُ الـكرّامُ غَرْسَ الـعنَــبِ
- واقْطُفي حبّـاتَ قَلبي حيّــةً حَبَّةً ، ثم أعصـريها وَاشْـرَبي
- كلماتُ الحُبِّ أنغامُ السَّــما أنزلَتْها روحُ عيسَــى والنَّبي

[١] - أروع ما قيل في الحب والغزل / اميل ناصيف / ١١٣ .

٩- الطين [١]

نَسِـــيَ الطينُ ســـاعَةً أنَّـهُ طينٌ حَقيرٌ فَصـــالَ تيـهـا وَعَربَـد
وَكَســـا الخَزُّ جِســـمَـهُ فَتَبـاهى وَحَوى المـالَ كيسُـــهُ فَتَمَرَّد
يـا أخي لا تَمـلِ بِوَجهِـكَ عَني مـا أنَّـا فَحمَـة وَلا أنـتَ فَرقَـد
أنـتَ لَم تَصـــنَع الحَريرَ الَّـذي تَـلبَس وَالـلُؤلُؤَ الَّـذي تَتَقَلَّـد
أنـتَ لا تـأكُـلُ النُضـــارَ إذا جِعـ ـــــت وَلا تشرَبُ الجُمانَ المُنَضَّد
أنـتَ في البُردَةِ المُوّشـــاةِ مثلي في كِسـائي الرديمِ تَشـقى وَتُسـعَد
لَـكَ في عـالَمِ النّهـارِ أمـاني وَرُأى وَالـظَـلامُ فَـوقَـكَ مُـمـتَـد
وَلِـقَـلـبـي كَـمـا لَـقَـلـبِـكَ أحـلا مٌ حِســـانٌ فَـإنَـهُ غَيرُ جَلمَـد

*****

أأمـــانِـــيَّ مِـــن تُـــرابٍ وأمـانيـكَ كُلَّهـا مِن عَســـجَـد
وأمـانِـيَّ كُـلُّـهـا لِـلـتـلاشـــي وَأمـانـيـكَ لِـلـخُـلـودِ المُـؤَكَّـد
لا فَهّـذي وَتِلـكَ تـأتي وَتَمضـــي كَـذويـهـا وَأَيُّ شَـــيءٍ يُـؤَبَّـد
أيُّها المُزدّهي إذا مَسَّـــكَ السُـــقـ ـــــم ألا تشـــتكي ألا تَتَنَهْـد
وَإذا راعَـكَ الـحَـبـيـبُ بِـهَـجـرٍ وَدَعَـتـكَ الـذِكـرى أَلا تَـتَـوَجَّـد
أَنـتَ مِثلي يَبَشُّ وَجهُـكَ لِلنُعمى وَفي حـالَـةِ المَصـــيبَـةِ يَكمَـد
أدُموعي خِـل وَدَمعُـكَ شَـــهـدٌ وَبُـكـائـي زُل وَنَـوحُـكَ سُـــؤدُد
وَابتســـامي السَـــرابُ لارَيَّ فيـهِ وَابتِسـامـاتُـكَ الـلآلـي الـخَـرَّد
فَـلَـكٌ واحِـدٌ يُـظِـلُّ كِـلَـيـنـا حـارَ طَرفي بِـه وَطَرفُـكَ أَرمَـد

---

[١] الجداول ، ص٤١ .

قَـمَـرٌ واحِـدٌ يُـطِـلُّ عَـلَـيـنـا وَعلـى الكوخ وَالبنـاءِ المُوَطَّـد
إن يَكُن مُشـــرِقـاً لِعَينَيـكَ إنّي لا أَراهُ مِن كُـوَّةِ الـكوخِ أســـوَد
الـنُـجـومُ الَّـتـي تَـراهـا أَراهـا حـيـنَ تَـخـفـى وَعِـنـدَمـا تَـتَـوَقَّـد
لَسـتَ أدنى عَلى غنـاك إِليهَـا وَأنا مَعَ خَصـاصَـتي لَسـتُ أبعَد

******

أنـتَ مَـثـلـي مِـنَ الـثَـرى وَإلـيـه فَلِماذا ياصـاحِبي التيه وَالصَـد
كُنـتَ طِفلاً إذ كُنـتُ طِفلاً وَتَعْـدو حينَ أّغـدو شَـيـخـاً كبيراً أدرَد
لَسـتُ أدري مِن أينَ جِئت وَلاما كُنتُ أَو ما أكونُ ياصـاحِ في غَد
أفَـتَـدري إذَن فَـخَـبِـر وَإلاّ فَـلِـمـاذا تَـظُـنُّ أنَّـكَ أَوحَـد

******

أَلَكَ القَصـرُ دونَهُ الحَرَسُ الشـا كي وَمِن حَولِهِ الجِدارُ المُشَـيَّد
فـامِنَـعِ الـلَـيـلَ أَن يَـمُـدَّ رَواقـاً فَـوقَـه وَالضـبـابَ أن يَـتَـلَـبَّـد
وَانظُرِ النورَ كَيفَ يَـدخُـلُ لايَط ـلُبُ أُذناً فَما لَـهُ لَيسَ يُطرَد
مـرقَـدٌ واحِـدٌ نَصـيـبُـكَ مِـنـهُ أفَتَـدري كَم فيـكَ لِـلـذرِ مَرقَـد
ذُدتَني عَنـه وَالعَواصِـفُ تَعـدو فـي طِـلابـي وَالـجَـوُّ أقـتَـمَ أربَـد
بَينَمـا الكَلـبُ واجِـدٌ فيـهِ مَـأوىً وَطَعـامـا وَالهُرُّ كَـالكَلـبِ يُرفَـد
فَسَـمِعتُ الحَياةَ تَضـحَكُ مِنّي أتَرَجّـى مِـنـك وَتَـابـى وَتُـجـحِـد

أَلَـكَ الرَوضَـــــةُ الجَميلَـةُ فيهـا الـمـاء وَالـطّـيـر وَالأزاهِـر وَالـنَـد
فـاِزجِرِ الـريـحَ أن تَـهُـز وَتَـلـوي شَـــجَـرَ الـرَوضِ إِنَـهُ يَـتـأَوَّد
وَالـجُـمِ الـمـاءَ فـي الـغَـديـر وَمُرهُ لا يُصَـــفِق إلاّ وَأَنـتَ بِمَشـــهِـد
إنَّ طَـيـرَ الأَراكِ لَـيـسَ يُـبـالـي أَنـتَ أصـــغيـتَ أم أنـا إن غَرَّد
وَالأَزاهيرُ لَيسَ تَســـخَرُ مِن فَقـ ـــــري وَلا فيـكَ لِلغنى تَتَوَدَّد

******

أَلَكَ النَهرُ إنَهُ لِلنَســـيمِ الرَطـــــ ـــــــبِ دَرب وَلِلعَصافيرِ مَورِد
وَهوَ لِلشُهبِ تَستَحِمُّ بِهِ في الصيـــ ـــــــفِ لَيلاً كَأَنَّها تَتَبَرَّد
تَـدَّعـيـهِ فَـهَـل بـأَمـرِكَ تَـجـري في عُروقِ الأشـــجـارِ أَو يَتَجَعَّد
كانَ مِن قَبلُ أَن تَجيء وَتَمضـــي وَهوَ باقٍ في الأَرضِ لِلجَزر وَالمَد

*****

أَلَـكَ الحَقـلُ هَـذِهِ النَحـلُ تَجني الشَـــهـدَ مِـن زَهـرِه وَلا تَـتَـرَدَّد
وأَرى لِـلـنِـمـالِ مُـلـكـاً كَـبـيـراً قَـد بَنَتـهُ بِـالكَـدحِ فيـه وَ بِـالكَـد
أنتَ في شَرعِها دَخيلٌ عَلى الحَقـــ ـــــل وَلِصٌّ جَنى عَلَيها فَأفسَد
لَو مَلَكـتَ الحُقولَ في الأرضِ طُراً لَم تَكُن مِن فَراشَـــةِ الحَقلِ أســعَد
أَجميـلٌ مـا أنـتَ أبهى مِنَ الوَر دَةِ ذاتِ الشّـــذى وَلاَ انـتَ أجوَد
أم عَزيز وَلِلبَعوضّـــــةِ مِن خَـدَّي كَ قوت وَفي يَـدَيـكَ المُـهَـنَّـد

أم غَنِيَ هَيهاتِ تَختالُ لَولا دودَةُ القَزِ بِالحَباءِ المُبَجَّد
أَم قَوِيٍ إذنَ مُرِ النَومَ إذ يَغـ ـشاك وَاللَيلُ عَن جُفونِكَ يَرتَد
وَامنَعِ الشَيبَ أن يَلِمَّ بِفَو دَيك وَمُر تَلبُثِ النَضارَةُ في الخَد
أَعَليمٌ فَما الخَيالُ الَّذي يَطـ ـرُقُ لَيلاً في أي دُنيا يولَد
ما الحَياةُ الَّتي تَبين وَتَخفى ما الزَمانُ الَّذي يُذَم وَيُحمَد
أَيُّها الطينُ لَستَ أنقى وَأسمى مِن تُرابٍ تَدوسُ أَو تَتَوَسَّد
سُدتَ أَو لَم تُسد فَما أَنتَ إلاّ حَيَوانٌ مُسَيَّرٌ مُستَعبَد
إنَّ قَصراً سَمَكتُهُ سَوفَ يَندَكُ وَثوباً حَبَكتْهُ سَوفَ يَنقَّد
لا يَكُن لَلخِصامِ قَلبَكَ مَأوىً إنَّ قَلبي لِلحبيبِ أصبَحَ مَعبَد
أنا أَولى بِالحُبِ مِنكَ وَأَحرى مِن كِساءٍ يَبلى وَمالٍ يَنفّد

تحليل قصيدة الطين

١- نَسيَ الطينُ ساعَةُ أنّه طينٌ حقيرٌ فصال تَيهاً وعَرْبَدْ

في هذ البيت جعل الشـــاعر الطين فاعلاً ، منزلته الرفع التي هي أشــرف الرتب الاعرابية وأعلاها ، ثم وســمه بالحقارة ليلفت النظر إلى أن شيئاً ما قد خرج عن أصله وطبيعته وزيف حقيقته ، فكيف يصير الطين الحقير في أعلى المراتب ؟

- وإنّ الانسـان الذي هو مصـنوع من الطين نسـي أنه من التراب ويرجع إليه ، فيخاطب الإنسان المغرور ، الذّي يفتخر بنفسه.
- والشـاعر يرمز بالطين إلى الجنس البشـري ،ويقصـد به ذلك الانسـان الذي نسـي أصـله وحقارته ، وطفق ينشـر الفسـاد ويتكبر على بني جنسه .

٢-وَكَسـا الخَزُّ جِسـمَهُ فتباها وحَوى المـال كيسُـــه فتمَرَّد

- أعاد الشـاعر في هذا البيت للإنسـان المتكبر منزلته الحقيقية اذ جعل جسمه ومظهره مفعولاً به منصوباً ، ثم أضاف بظهره

اليه ليبين له أنّ تلك المنزلة التي رأى نفســـه فيها إنما هي نتيجة اعتزازه بمظهره .

- وهكذا أنزل الشــاعر جســم المتكبر منزلة النصــب ثم جعله مجروراً بالإضـــافة ، ثم قال : (وحوى المال كيســـه) ليؤكد حقيقة هذا النوع من الناس ، إذ هو مضـــاف إلى كيس ماله منزلته مرتبطة به لا يسـوى دونه شـيئاً ، فهو مجرور مذلول بسبب حبه للمال ليملأ به كيسه الذي بدونه لا يسوى شيئاً، وكأن كيس المال يجره ويتحكم به .

٣-يـا أخي لا تَّمِل بوجهكَ عَنّي ما أنا فحمةٌ ولا أنتَ فزقَدْ

- ويمضــي الشــاعر في قصــيدته متمسـكاً بالمعنى الذي بدأه ، إذ يقول: (يا أخي لا تمل بوجهك) ، فاعل تمل هو (أنت) وقد جاء ضـميراً مسـتتراً واسـتتاره وجوباً ، ثم أنزل أكرم شــيء فيه منزلة البحر حين جعل وجهه مجروراً بحرف يجره الحرف جراً .

- وقوله (يا أخي) إنما هو لتذكيره بأنهما من جنس وأصل واحد لا فرق بينهما ، ومما يؤكد ذلك أنّ الشـــاعر أضـــاف كلمة (أخ) إلى ضـــمير النفس أو المتكلم ناهيك عما تحمله الكلمة من معنى .
- وعند قوله (ما أنا فحمة ولا أنت فرقد) ، يؤكد له أنْ لكل منهما نفس المنزلة ، وإن اختلفت المظاهر وتباينت الظروف.
- أنا : ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ .
- أنت : وإن كان مبنياً على الفتح إلاّ أنه ضمير منفصل للرفع على أنه مبتدأ .
- وقد ســـبق الضـــميرين كليهما حرف نفي واختلاف الحرف مقصـــود فهو يعكس اختلاف ظروف الغني والفقير وهما من حيث المعنى والغرض شيء واحد .

٤-أنت لم تَصـــنَعْ الحَريرَ الذي تَلْبَس واللؤلؤَ الـذي تَتَقَلّـدْ

- خاطبه هنا بالصورة التي رأى فيها نفسه ، فاستعمل ضمير الرفع المنفصـــل ليخبره أنه عنده المنزلة المزيفة التي تعالى

بها وتكبر وتغطرس لم تستطع أن تنصب الحرير الذي تلبس ولا اللؤلؤ الذي تتزين به .

- إذن منزلتك التي رفعت نفسك إليها ، ماهي إلاّ بفعل مظهرك وملبســـك لا بروحك وجوهرك في مظهرك وزيتك أعلى وأرفع من روحك وجوهرك .
- ومما يدل على خوانك وضـــــعف حيلتك وقوتك وعجزك عن نصب من نصبك وهو الحرير .

(كسا الخز جسمه / لم تصنع الحرير)

٥-أنتَ لا تَأكُلُ النُضّـــارَ إذا جعتَ ولا تَشـرَبُ الجُمانَ المنضـدْ

- أنت يامن رأيت نفســـك شـــامخاً في الإعراب ومنزلته كل ما صـــــنعته هو تزييف حقيقك حين وضـــــعتها في أرقى الرتب الإعرابية الرفع (أنت) .
- هل استطعت أن تنصب الجمان أو النضار فضلاً عن جره؟
- هل اسـتطعت ذلك وانت متحرك بدافع فسـيولوجي ضـروري وهو طلب المطعم والمشرب ؟

- ألم تستطع ذلك فما الحالة الإعرابية التي تستحقها ؟

٦-أنتَ في البُرْدَةِ المُوشاةِ مِثلي في كِسائي الرديم تشقى وتُسعدْ

- ويستمر الشاعر في مناداته بالصورة التي رفع اليها نفسه ثم يثبت له الحقيقة فيقول:
- أنت في حالة الرفع الراقية التي ترى فيها نفسك إنما حصل ذلك بفعل البردة الموشاة التي ترتديها ، وهي بردة حقيرة مجرورة يجرها الحرف جراً ، فأنت بذلك تزيد نفسك حقارة وذلاً إذ رأيت نفسك عزيزاً كريماً شامخاً في الاعراب ، ومنزلته لارتدائك بردة حقيرة .
- بعد مدة قليلة ، والذي يبقى شيء منها فينبغي أن تحترم الناس ، إن قيمة كل شخص بالإنسانية والاحترام المتبادل ، فما دام ذلك الإنسان جسده من طين وملاذاً الذي يوجد في قلبه المودة وملاذاً الذي يعطف على الآخرين ،وان يهتم بالقضايا الإنسانية التي هي القيمة الخاصة في المجتمع

البشري ، فعلى الانسان أن يعتني بأخيه لأنه أولى بالاحترام والإحسان من الظواهر الماديات .

- وتعدّ قصيدة (الطين) ، من أحسن القصائد التي حذرت من الغرور والفخر والكبرياء وهي لحنٌ رائع من ألحان المساواة، ويقوم الشاعر بنقد الإنسان الذي يفتخر بماله ويتنعم بالعيش.
- وبالطبع يؤدي هذا الأمر إلى الثورة عليهم من قبل الذين يملكون الثروة والمال الشيء الضئيل ، ويصور ان الإنسان المتكبر لم يعرف مكانته وفي جانب آخر من قصيدته يقول:

١٩-إن يكن مُشرقاً لعينيكَ اني لا أراه مِن كوة الكوخ أسود

٢٠-أنتَ مثلي من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصَدْ

لا يَكُن للخِصام قلبكَ مأوى إنّ قلبي للحب أصبح معبد

أنا أولى بالحبَّ مِنكَ وأحرى مِن كِساء يُبلى وَمالٍ يَنْفَدْ

- إذ يقول : إن كان ذلك قد ظهر أمام عينيك بشكل واضح فأين الذي استطيع أن أرى ذلك من خلال فجوة هذا الكوخ الأسود .

- أنت وأنا كلانا مخلوقان من الطين وسنعود إلى التربة من جديد ، فيا صديقي لماذا تصد بوجهك عني وتتكبر ، ولماذا هذا الغرور ؟

إن جعلت في قلبك جمال وملجأ للخصومة والنزاع ، فإن قلبي أصبح معبداً للحب والعشق ، يا صديقي أنا استحق الحب أكثر منك ، وذلك أجدر من ثوب يصبح بالياً ومندرساً ، وأجدرُ من أموال تنتهي في يوم من الأيام ، وإنّ قيمة الإنسان أغلى من لبس وأموال تبلى .

وهناك بون شاسع بينه وبين السعادة الحقيقية ، وهو لا يكاد يفقه أن مكانة الانسان ليست بجمع المال بل الإنسان يُعرف بالإنسانية والأخلاق .

وهناك ملامح من الواقعية الاجتماعية في شعر إيليا أبو ماضي:

- هذه القصيدة جعلتنا نتأمل في أن وجود الانسان على الأرض من شيء واحد ، ورجوعه إلى المصدر نفسه والشيء الوحيد

الذي يكتب له الدوام والبقاء ، هو العطف والحنان والإحسان إلى الآخرين .

- ويعتقد الشاعر أن الجميع يتساوون في العواطف والمشاعر الإنسانية مهما كانوا ، يعيشون في كوخ متواضع أو في قصر ملكي .
- وحباً في الايجاز نلم بقصيدة (الطين) ، ففيها طبع فلسفي ، فيه من السذاجة بقدر ما فيه من السمو ، فيسمو بقارئها إلى آفاق الإنسان النابي عن دنيا التراب ، مؤنباً الإنسان المعتد بحطام الأرض بشعر إن فاتته أناقة التعبير فلا تعوزه روعة التصوير ، فيقول :

نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيهاً وعربدْ
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمة ولا أنت فرقدْ

وبعد أن يرسم خطوط الحياة الفضلى ، القائمة على ركائز خالدة صـــادقة ، في تعريض يصـــفع كبرياء المزهدين بالثروات الزائلة ينتهي بقوله :

أيها الطين لســت أنقى واســمى من تراب نـدوس أو نتوســـذْ
إنّ قصـراً سـمكته سـوف يندك وثوبـاً حبكتـه ســـوف ينقـذْ
لا يكن للخصـــام قلبـكُ مـأوى إن قلبي للحب أصـــبح معبذْ
أنـا أولى بـالحـبّ منـك وأحرى من كســـاء يبلى ومـال ينفـذْ

نقد قصيدة (الطين)

- أثارت قصـــيدة الطين ضـــجة عالية ، وكان ظهورها مبعث إعجاب شــديد في كل مكان ،ومنذ ســنوات ، وقبل وفاة أبي ماضـــي، كشـــف الأديب العربي الأردني ، العلامة (روكس العزيزي) كشـفا جديداً حول قصـيدة الطين ، وأيدّ أن معانيها كلها مأخوذة من قصـيدة لشـاعر بدوي أردني شـعبي ، قال روكسي العزيزي [1] .
- من نحو مئة وعشـــرين ســـنة كان يعيش في البادية الأردنية شاعر بدوي اسمه (علي الرميثي) عَصَرَ الألم قلبه وألح عليه الفقر على الرغم مما وهب له الله من جمال النفس ، وروعة المظهر والشهامة والنجدة ، وكأن لهذا الشاعر ابن عم يدعى (ســـالماً) ، وكأن القدر الإلهي قد اقتطع ما وهب لعلي من الشـــعور الفياض ، وجمال الجســـم والنفس من رزقه، فعاش علي معدماً إلا من فضائله .

---

[1] كتاب (فريسة أبي ماضي) ، ص ٤٩ وما بعدها / ط ١٩٦٥ م.

أما ابن عمه سالم ، فكان من أغنياء العشيرة ومن وجهائها .

وفي أحد الأيام غزا سالم الرميثي عقيداً لعصبة في عدادها ابن عمه علي وفي أثناء الغارة قتلت فرس سالم وجرح وفر عنه رفاقه إلا ابن عمه علي ، فإنه أردفه على فرسه ، وهرب به إلى أن أوصله إلى منجاته وعولج سالم إلى أن شفي من جراحه فكان يعّد نفسه مديناً لابن عمه بحياته ، ولم يكن يرد لابن عمه طلباً ، إلى أن جرى اتفاقاً أن أحبّ الرجلان كلاهما فتاة معروفة في الحي بجمالها ، فتنازعا بسببها، ولما خيرت الفتاة اختارت علياً ، على خصاصته – فحقد سالم على الفتاة وعلى ابن عمه علي وتنكر له .

ولما توفيت الفتاة ، أملق علي إملاقاً شنيعاً ، فرأى أن أفضل وسيلة هي اللجوء إلى ابن عمه سالم ، ولاسيما أن سبب الخصام بينهما قد زال ، لأن الفتاة واجهت ربها ، وفي ليلة كثر ثلجها لم ينتبه سالم إلاّ وابن عمه (علي) في الشق[1] .

[1] الشق : القسم المخصص لضيوف من بيت الشعر .

فلم يلتفت إليه على خلاف ما توجه تقاليد البادية ، ولم يقدم له طعاماً ، فأثر ذلك في نفس علي أعمق تأثير ، وعاتب ابن عمه عتاباً تطرق منه إلى الهجاء المرّ ، وذكره بخاتمته .

فكانت قصـيدته من أروع ما رأينا في شـعر البادية ، على طول دارستنا له .

وقد التزم الشاعر البدوي في قصيدته هذه قافيتين :

واحدة في الصـــدر ، وواحدة في العَجُز ... وكم كانت دهشـتنا يوم رأينا هذه القصـيدة على إيجازها تحوي أكثر معاني قصيدة (الطين) للشاعر المهاجر إيليا أبي ماضي ، لذا أثرنا أن نروي قصـيدة (الرميثي) ونفسـر أبياتها ، ونذكر بعد كل بيت ما يناسـبه من قصـيدة (الطين) ، ضـاربين صـفحاً عن اختلاف الروايات التي ذكرها الرواة لأنها لا تتعدى الاختلاف في كلمات معينة ، أمّا المعنى والجوهر فواحد :

١- قال الرميثي :

يـا أخوي مـا أحنـا فحمـة مـابهـا ســـنى ولا أنتَ شـــمســـاً تلهب الدو بضـــياه

***يقول: ياأخي ما نحن فحمة لاجمال فيها ولاأنتَ شمس تلهب الصحراء بضيائها**

ويقول أبو ماضي:

يـا أخي لا تَمِـلْ بوجِهـكَ عني مـا أنـا فحمـةٌ ولا أنـتَ فرقـدْ

٢- قال الرميثي :

لصـــار ما تأكل ذهب يوم تبلى يا أخوي وش نفع الذهب يوم تقناه

* يقول: أي ما دمت لا تأكل ذهباً يوم تموت فما فائدة الذهب الذي تقتنيه إذاً؟

ويقول أبو ماضي:

أنتَ لا تَأكل النضـــار إذا جعت ولا تشـــرب الجمـان المنضـــــد

٣- قال الرميثي :

ملبوســـك أمن البز تبلاه بلوى مثل الأكفان لميت طال مشـــحاه

يقول :ملبوســك من ناعم القماش، وثمينه يبلى كأنه أكفان، وتصــيبه النكبات كأنه أكفان لميت انقضى على موته زمن طويل

ويقول أبو ماضي :

أنت في البردة الموشـــاة مثلي في كســائي الرديم تشــقى وتســعد

٤- قال الرميثي :

المنوه اللي بضـــميرك تلوى لي مثلها ياشـــين بالقلب نهواه

يقول: امنيتك وحبك الحائر في ضـــميرك لي مثله أيها الردئ الدنل أهواها بكل ما في قلبي من إحساس فأي فرق بيننا؟

٥- قال الرميثي :

نحلم حلوماً حلوة يوم نرضـــى وتمر يوم الســـعد ما بان ما طاه

يقول: أن لنا أحلاماً لذيذة متفائلة عندما نرضـــى عن الحياة لكن هذه الأحلام تتحول مرارة وعلقماً إذا فارقنا الحظ وتلمسناه فلم نجد آثار أقدامه

- أما إيليا أبو ماضـــي ، فقد عبّر عن هذين البيتين بأربعة أبيات هي:

لـك في عـالم النهـار أمـاني ورؤى والظلام فوقـك ممتـدْ
ولـقـلـبـي كـمـا لـقـلـبـك أحـلا م حســـان فـانـه غير جلمـد
وأمــاني كلهــا لدتلاشـــي ؟ وأمــانيــك للـخلـود المؤكـدْ؟
لا فهذي وتلك تأتي وتمضـــي كذويها وأي شـــيء ســـرمد ؟

٦-قال الرميثي ، معرضاً بجبن ابن عمه ونقص رجولته :

يوم الرماح تناوشـــك ليه تلوى والترّف يوم يفارقك ليه تشـــباه

يقول : إذا كنـت رجلاً تـام الرجولـة أيهـا المتغطرس إيـاك وان تظهر الضـعف متلوياً في الحرب يوم تصـيبك أطراف الرماح ، إذا كنت رجلاً فيه شـيء من الإباء لماذا تظهر الشـهوة العارمة التي تعمي بصيرتك يوم تفارقك حبيبتك اللطيفة ؟

ونرى أبا ماضـــي يعقد بيتاً في المعنى الذي عبر عنه الشــاعر البدوي بنصف بيت قال:

واذا راعـك الحبيـب بهجرٍ ودعتـك الـذكرى ألا تتوجـد؟

٧- قال الرميثي :

ودموعنا وأيا الضحك فيه سلوى متماثلة[١] ياشـــين لصـــار تبلاه

ان دموعنا تشـبه دموعك ، وضـحكنا يشـبه ضـحكك ، لأن فيهما سلوى وتعزية كما يسليك ضـحكك ، أيها الرديء ، النذل، أجل إنها تماثله يوم تختبرها ..

وأبو ماضي يقول :

أدموعي خل ودمعك شـــهد وبكائي ذل ونوحك ســـؤدد

وابتسـامي السراب لأرى فيه وابتســاماتك اللآلي الخرد ؟

[١] متماثلة : مثيلة .

ونلاحظ أن الشاعر المهاجر قد عقد بيتين كاملين لما عبر عنه الشاعر البدوي في بيت واحد .

٨- وقال الرميثي :

كليتنا للترب نمشي ونحيا لا توهمك بالضبع نفسك بمشهاه

يقول : كلنا عائدون إلى التراب ، فاياك وأن تخدعك نفسك كما تخدع الضبع عن نفسها يوم يدخل عليها الصائد في وجارها ويوهمها أنه لا يريد بها سوءاً إلى أن يجرها من كراعها وهي ساكنه لا تبدي حراكاً .

أما أبو ماضي فيقول :

أنت مثلي من الثرى وإليه فلماذا ياصاحبي التيه والصد؟

٩- ويقول الرميثي بيتاً في منتهى الروعة :

هذا القمر والشمس والنجم تعلى وفحومسك مثل الخرابيش تنصاه

يقول : ها هو ذا القمر ، وها هي ذه الشمس وها هي ذه النجوم ترتفع متعالية في قبة السماء ، تزور بيوت الشعر الحقيرة – الخرابيش – كما تزور بيتك الفخم ذا الأعمدة الخمسة.

- أما أبو ماضي فيعبر عن ذلك بثلاثة أبيات هي :

النجوم التي تراها أراها حين تخفى وعندما تترقد
فمن واحد يطل علينا وعلى الكوخ والبناء الموطد
ألك القصر دونه الحرس بشا كي ومن حوله الجدار المشيد

١٠- قال الرميثي :

حيائك اللي سيوفهم نور يلظى مايمنعون الموت إن جاك معداه

- يقول : إن جماهير أعوانك واقاربك الذين سيوفهم تومض كأنها النور لا يستطيعون أن يصدوا الموت عنك إذا جاء الوقت الذي يعدو عليك فيه كالذئب .
- ويعبر أبو ماضي عن هذا البيت بثلاثة أبيات هي :

ألك القصر دونه الحرس الشا كي ومن حوله الجدار المشيد
فامنع الليل أن يمد رواقاً فوقه ، والضباب أن يتلبد
مرقد واحد نصيبك منه أفتدري كم فيه للذرّ مرقد؟

١١- قال الرميثي :

الله يخونك كنت للناس منصى حتى العشا في فحومسك ما لقيناه
والثلج يذري والسواعير تضوى هبيت ننصى العبد والله ننساه

- يقول : قاتلك الله لقد كنت في ما مضى ملجأ للناس فصغرت نفسك ، وتحولت نذلاً ينسى كل تقاليد العرب النبيلة إلى حدّ أنك بخلت علينا بالعشاء في بيتك ذي الأعمدة الخمسة الذي يدل على الزعامة والكرم !
- أجل لم نجد عندك عشاء في أتعس الأوقات يوم كانت الثلوج تتساقط ، والصواعق تشق الظلام ، فقاتلك الله وقبح الله تفكيرنا ما أسخفه ، إذ نلجأ إلى عبد حقير مثلك، وقد نسينا

أن نلجأ إلى الله مصدر كل خير الذي في يده ناصيتك وفي يده رزقك .

- ويعبر أبو ماضي بثلاثة أبيات هي :

ذدتني عنه والعواصف تعدو في طلابي والجو أقتم أربد

بينما الكلب واجد فيه مأوى وطعاماً والهر كالكلب يرقد

فسمعت الحياة تضحك منى أترجى ومنك تابى وتجحد

١٢-ويختم الرميثي قصيدته بقوله : وهو البيت الرابع عشر من القصيدة، أما الثالث عشر فلا علاقة له بقصيدة الطين :

أنت وماثمرت تسقط وتبلى وتراب قبرك سافي الريح يسفاه

يقول : أنت وكل ما كنزت في حياتك سوف يبلى وأنت سوف تسقط وقبرك تذروه الرياح تنثر ترابه في الفضاء ، فانظر إلى هذه الخاتمة المروعة التي انتهى إليها الشاعر البدوي السليم في فطرته .

- أما أبو ماضي فيقول في المعنى نفسه :

إنْ قصراً سمكته سوف يندك وثوباً حبكته ســـوف ينقد

- وليس بخافٍ إن الشــطر الأول من بيت أبي ماضـــي مأخوذ من قول حكيم المعرة ، وأعماها القائل :

كل بيت للهدم ما تبتني الوزْ قــاء والســـيـد الرفيع العمــاد

- وقد علّق على هذه السرقة الناقد مارون عبود بقوله : قصيدة الطين هي من روائع الشـــاعر المهجري إيليا أبو ماضـــي ، ولعلها من الزوايا الضـخام التي رسـت عليها أسـاس شـهرته الذائعة ، لكن (روكس بن زائد العزيزي) ، في حديثه عن أثر البادية في شعرنا المعاصر قد عارض هذه القصيدة الشهيرة بقصيدة قالها الشاعر البدوي ، فإذا بمعانيها مأخوذة من ذلك الشاعر الأمي ، الذي قال قصيدته منذ سبعين عاماً وأكثر ، وتكاد تكون قصيدة أبي ماضـي طبق الأصـل، ولا فرق بينها

وبين قصـيدة (الرميثي) ، إلاّ أن الرميثي يخاطب شـخصـاً بعينه ، بينما شـاعرنا أبو ماضـي يخاطب البشـر أجمع في شخص إنسان ما ، إذ يقول :

نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصـــال تيهاً وعَرْبَدْ
وكسـا الخز جسـمه فتباهى وحوى المـال كيســـه فتمرد
يا أخي لا تمل بوجهك عني مـا أنـا فحمـة ولا أنـت فرقد

- ويقول عبد المسيح حداد في جريدته (لسائح) [1] .

إن قصيدة الرميثي التي كشف الأستاذ العزيزي أن إيليا أبا ماضـي أغار على معانيها ، وسـرق منها الكثير فصـاغ منه قصـيدة الطين ، ليسـت كما ظن السـارق غير متداولة ، فلقد سـمعناها مراراً عدة في إدارة الجريدة منذ زهاء ثلاثة عقود من السـنين ، وكان الذي رواها لنا - وهو من أشـد الناس تعلقاً وإعجاباً بها -المرحوم (ظاهر) أبو ماضـي ، والد إيليا أبو

[1] جريدة السائح ، العدد ١٥١٧ ، (١٩٥٥م).

ماضـي نفسـه ، وقد كان (ε) شـاعراً قومياً ومن الذكاء بمكان ، وقد أسـمعنا الكثير من قصـائد بدوية لشـعراء آخرين حفظتها ذاكرته، وكنا نترقب أحياناً كثيرة وفوده علينا لنصـغي أي ما يرويه مسـتأنسـين به ومسـتغربين كيف أن ذلك الشـيخ ولع كل ذلك الولوع بشعر البدو .

وكلام عبد المسيح حداد له أكثر من دلالة

١٠- الطلاسم[١]

جئت لا أعلمُ من أين ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إنْ شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي..

لست أدري

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجودْ؟
هل أنا حُرٌ طليقٌ ،أم أسيرٌ في قيود
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مَقودْ
أتمنى أنني أدري ولكن ....

لست أدري

وطريقي ما طريقي ؟ أطولٌ أم قصيرْ؟
هل أنا أصعد أم أهبط فيه وأغور
أأنا السائر في الدرب أم الدرب تسير

[١] الجداول / ١٠٧ / وهي من القصائد المغناة .

أم كـــلانـــا واقـــفٌ والـــدهـــر يـــجـــري ؟

لست أدري

ليـت شـــعري وأنـا في عـالم الغيـب الأميـن
أتـــرانـــي كـــنـــت أدري أنـــنـــي فـــيـــه دفـــيـــن
وبـأنـيّ ســـوف أبـدو وبـأنـي ســـأكـون
أم تـــرانـــي كـــنـــتُ لا أدرك

لست أدري

أتراني قبـلَ مـا أصـبحـت إنســـانـاً ســـويـاً
كـنـتُ مَحواً ومُحـالاً، أم ترآني كـنـتُ شـــيّـا
ألـهـذا الـلـغـز حـلٌّ ، أم ســـيـبـقـى أبَـدِيّـا
لســـتُ أدري ، ولـمـاذا .. لســـت أدري ؟

لست أدري

أين ضـــحكي وبكـائي وأنـا طفـلٌ صـــغير
أيـن جـهـلـي ومـراحـي وأنـا غـضٌّ غـريـر
أين أحلامي وكـانـت كيفمـا ســرتُ تســير
كلّـهـا ضـــاعـت ولـكـن كـيـف ضـــاعـت؟

لست أدري

أنـا لا أذكر شـــيئـاً من حيـاتي المـاضـــيـة
أنـا لا أعـرف شـــيـئـاً مـن حـيـاتـي الآتـيـة
لـي ذات غـيـر أنـي لســـت أدري مـاهـيـه
فـمـتـى تـعـرفُ ذاتـي كـنـه ذاتـي؟

لست أدري

إنـنـي جـئـتُ وأمضـــي وأنـا لا أعـلـم
أنـا لـغـزٌ ، وذهـابـي كـمـجـيـئـي طـلسـمُ
والـذي أوجـد هـذا الـلّـغـز لـغـز مـبـهـمُ
لا تـجـادل .. ذو الـحـجـى مـن قـال إنـي

لست أدري

بعض أفكار قصيدة الطلاسم

- اما عن أفكار الطلاسم أو فاتحة الطلاسم :

فنجد إنّ أبياتها كلّها في موضوع واحد تقريباً ، وهو الحَيرَةُ التي تنتاب المرء حينما يُفكرُ في أصـــل الخليقة وكيف خُلق الإنســـان في هذا الوجود ، ومِن أين خلق ؟ ولماذا؟ وإلى أين المصير ؟ وهي حَيْرَةٌ لا تزال قائمة حتى الآن .

فالشــاعر إيليا أبو ماضـــي يُعبرُ عن هذه الحيرة بكلام لطيف ، وكان يشير في مطلع قصيدته إلى أنّ المرء في هذه الحياة يأتي إليها في طريق مرســومة له في القدر ، ويُرْغَمُ على الســير فيها رضي أم أبى إلى أنْ يستوفي عُمُرَه وهذا معنى كلامه .

ولقد ابصـــرتُ قدامي طريقاً فمشـــيتُ

وسـأبقى سـائراً إنْ شـئتُ هذا أم أبيتُ

- ويتكلم إيليا أبو ماضـــي على فكرة الأزل ، وهل الإنســـان موجود في القديم ثم ظهر إلى عالم الحاضـر في هذه الحياة، وهل هو مُخيّر أم مُسيَر ؟ يقول :

أجـديـدٌ أم قـديـمٌ أنـا فـي هـذا الـوجـودْ؟
هـل أنـا حُرٌ طـلـيـقٌ ،أم أســـيـرٌ فـي قـيـود
هـل أنـا قـائـدُ نفســـي في حيـاتي أم مَقودْ
أتـــمـــنـــى أنـــنـــي أدري ولـــكـــن ....

لست أدري

ويقول في معنى الأزل ، وفي هذه الحيرة :

أتراني قبـلَ مـا أصـــبحـت إنســـانـاً ســـويـاً
كنـتُ مَحواً ومُحـالاً، أم ترآني كنـتُ شـــيّـا
ألـهـذا الـلـغـز حـلٌ ، أم ســـيـبـقـى أبَـدِيّـا
لســـــتُ أدري ، ولـــمـــاذا لســـــت أدري ؟

لست أدري

* ويبلغ عدد أبيات القصيدة ٢٨٤ بيتاً.

وفي الجانب الاخر ، يضيف الشاعر الياس ابي شبكة [1] على القصيدة قوله :

... وقد تجلت الناحية السفسطائية من روح الشاعر في هذه القصيدة (الطلاسم) او في (لاأدرياته) التي عمد فيها الى الشك في كل شيء ، على انه جاوز في شكوكه الحد الذي وقف عنده الفلاسفة حتى اوشك ان ينكر ذاته او انكرها ، وليس في (طلاسم) أبو ماضي نظريات تستطيع ان تكتشف فيها مذهباً فلسفياً . فطلاسمه مزيج من اسئلة ما برحت منذ القديم الى اليوم تخرج على السنة الفلاسفة المفكرين ، على انه عرف ان يذر عليها رشاشاً من الشاعرية الرائعة .

اتراني كنت يوماً نغماً في وتر

[1] ضمن مقدمة ديوان الجداول / ٧ .

١١- العميان[١]

كم خفضنا الجناحَ للجاهلينا
وعذرناهم فما عذرونا
خبروهم يا أيها العاقلونا
إنّما نحن معشــر الشــعراء يتجلى ســـر النبوة فينــا

****

ذكروهم فَرُبَّ خير كبير
فعلته الهداة بالتذكير
إنما الناس من تراب ونور
فبنو النور يعبــدون النورا وبنو الطين يعبدون الطينا

****

قيل عنا قصورنا من هباء
تتلاشى في ضحوة ومساء
أو سطور بالماء فوق الماء
لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنســيتم شــهوركم والســنينا

****

[١] الجداول / ٦٣ .

لو دخلتم هياكل الإلهام

وسرحتم في عالم الأحلام

واجتليتم سر الخيال السامي

وعرفتم كما عرفنا الله لخررتم أمامنا ساجدينا

****

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا

حسنت نكهة ، وطابت مذاقا

وسقينا مما شربنا الرفاقا

فتركناهم حيارى سكارى يتمنون أنهم لا يعونا

****

همكم في الكؤوس والأكواب

آه لو كان همكم في الشراب

لطرحتم عنكم قيود التراب

وشعرتم بلذة أو عذاب هذه الخمر ليتكم تشربونا

*****

أتقولون : إنه مجنون ! .

أتقولون : إنه مفتون !

أتقولون شاعر مسكين !

كم مليك كم قائد كم وزير ودّ لو كان شاعراً مسكينا

*****

عاش ((ملتن)) فلم يكن مذكورا

وهوميروس ((كالشيخ)) كان ضريرا

ولقد مات ((ابن بردٍ)) فقيرا

أرأيتم كما رأى العميان ؟ أفلستم بنورهم تهتدونا؟

١٢ ـ ابتسم[١]

١-قال:((الســـماءُ كئيبةٌ!)) وتجهَّما قلتُ:ابتسمْ يكفي التجهُّم في السما!
٢-قال: الصِّبا ولىَّ! فقلت له : ابتسم لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرّما!
٣-قال: التي كانت سمائي في الهوى صـــارت لنفســـي في الغرامِ جهنّما
٤-خـانـتْ عهودي بعـدمـا ملَّكتُهـا قلبي ، فكيف أُطيقُ أنْ ابتسَّـــمـا؟
٥-قلتُ: ابتســـم واطرب فلو قارنتها قضَّـــيـت عمرَكَ كلَّـه متـألّمـا !
٦-قال : التجارةُ في صـــراعٍ هائلٍ مثلُ المســـافر كاد يقتله الظما
٧-أو غـادةٍ مســـلولـةٍ محتـاجـةٍ لدم وتنفُثُ ،كلَّما لهثت ، دمـا..!
٨-قلت : ابتســم ما أنت جالب دائها وشِـفائها ، فاذا ابتسـمتَ فربَّما...!
٩-أيكونُ غيرك مجرمـاً وتبيـتُ في وجلٍ كأنك أنتَ صـــرتَ المجرما؟

*****

١٠-قال: العدى حولي علت صيحاتهم أأُسَـــرُّ والأعداءُ حولي في الحمى؟
١١-قلت : ابتســمْ، لم يطلبوك بذمّهم لو لم تكن منهم أجـلَّ وأعظمـا!

*****

١٢-قال: المواســم قد بدت أعلامُها وتعرَّضـــت لي في الملابس والدُّمى
١٣-وعلـيَّ لـلأحـبـاب فـرضٌ لازمٌ لـكنَّ كفي لـيس تمـلـكُ درهمـا

---

[١] الخمائل / ص ٣٨ ، وهي من القصائد المغناة

١٤-قلت : ابتسم يَكفيكَ أنكَ لم تزلْ حيًّا ولستَ من الأحَبَّة مُعدما!

******

١٥-قال: الليالي جرعتني علقماً قلتُ : ابتسمْ ولئن جرعتَ العلقما

١٦-فلعلَّ غيرَك إن رآك مرنّماً طرح الكآبةَ جانباً وترنّما

١٧-أتُراك تغنمُ بالتبرُّم دِرهماً أم أنتَ تخسرُ بالبشاشةِ مغنما؟

١٨-ياصاح! لاخطر على شفتيك أن تتثلَّما ، والوجهِ أن يتحطَّما

١٩-فاضحك فأنّ الشهب تضحك والدجى متلاطمٌ ، ولذا نُحبُّ الأنجما!

٢٠-قال:البشاشةُ ليس تُسعد كائناً يأتي إلى الدنيا ويذهب مرغما

٢١-قلت : ابتسمْ ما دام بينَك والردى شبرٌ فأنكَّ بعدُ لن تتبسَّما !

خصائص ومميزات شعر إيليا أبو ماضي ودواوينه

خصائص ومميزات شعر إيليا أبو ماضي

- **أولاً : خصائص شعره**
- ١ – اتسم باسلوبه غير المباشر الذي يعتمد الطبيعة بصفتها الأساس لتشخيص أفكاره ومعانيه .
- ٢ – العناية بالمعنى والاهتمام بالفكرة عمقاً ووضوحاً .
- ٣ – الاتجاه إلى الرمز بصفته وسيلة فنية .
- ٤ – التنوع في البناء الشعري ، وعدم الالتزام بنظام القصيدة العمودية، من حيثُ الوزنُ والقافية .
- ٥ – وفي بدايات نظمه للشعر اعتمد أسلوب القصيدة العمودية ، والموضوعات التي شملتها أغلب قصائد سابقيه، إلا أنه غيرّ من نمطه بشكل كبير بعد هجرته .
- **ثانياً : مميزات شعره**
- إنماز شعره بطبيعة التفاؤل ، فكان يسمو بكل شيء نحو الجمال يصنع من أحلك الظروف جنّة قادمة صاغ تفاصيلها في كل شطر من قصائده ، فضلا عن ان مجموعاته الشعرية لا تخلو من بعض الكتب النثرية ، تلك القصائد التي لاقت نجاحاً مبهراً منها : (فلسفة الحياة) التي يقول فيها :

أيهذا الشاكي ومابك داء كن جميلاً ترى الوجود جميلاً

- ثالثاً : دواوينه

أما عن دواوينه الشعرية فهي :

١- أول ديوان ظهر له هو (تذكار الماضـــي) الذي طبع في الإسكندرية عام ١٩١١م .

٢- الجزء الثاني من ديوانه بعنوان (ديوان إيليا أبو ماضـــي) طبع في نيويورك عـام ١٩١٦ بعـد أن هـاجر إلى أمريكـا بخمس سنوات .

٣- في عام ١٩٢٧ نشـــر ديوانه (الجداول) الذي طبع في مرآة الغرب في نيويورك ، وقد كتب ميخائيل نعيمة مقدمته.

٤- في عام ١٩٤٦ م ظهر له ديوان (الخمائل) .

٥- وبعـد وفـاتـه في ٢٤ نوفمبر ١٩٥٧ عثر أبنـاؤه على ديوان اسمه (التبر والتراب) .

رابعاً : ومن ابرز أعماله النثرية

١- تعريب كتاب الغجر ، دراسة عن تقاليدهم وعاداتهم .

٢- تعريب قصائد انجليزية .

٣- صور قلمية ظهرت في جريدة (السمير) .

قصائد إيليا أبو ماضي المغناة

١- قصيدة (وطن النجوم) غنتها فيروز .

٢- قصيدة (أيها الشادي المغرد في الضحى) غنتها فيروز .

٣- قصيدة (الطلاسم/ لست أدري) غناها محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ والمغنية الجزائرية سعاد ماسي .

٤- قصيدة (العنقاء) غنّاها حمزة الدين .

٥- قصيدة (أي شيء في العيد أهدي إليك) غناها ناظم الغزالي .

٦- قصيدة (ابتسم) غنّاها غازي عبد الباقي .

أبرز الجوائز والأوسمة

١- وسام الأرز ووسام الاستحقاق من الحكومة اللبنانية عام ١٩٤٨ م.

٢- وسام الاستحقاق الممتاز من الحكومة السورية عام ١٩٤٩ م .

قالوا في الشاعر إيليا أبو ماضي

قالوا في الشاعر إيليا أبو ماضي

١ـ ميخائيل نعيمة[١]

قال إيليا أبو ماضي

(خلت أني في القفر أصبحتُ وحدي وذا النـاس كلّهم في ثيابـي)

لقد قرأت لأبي ماضـــي كثيراً من طيب الشـــعر وجميله ، غير أني لست أذكر اني قرأت له أصدق من هذا البيت ، وادلّ منه على بعد غور شاعريته ، ومدى خياله ورحابة آفاق فكره ، أو لست تسمع عند قراءته قلوب الإنسانية بأسرها نابضـة في قلبك، وتشهد أمواج أفكارها متلاطمة في بحر فكرك ؟

ألست تحس أنك وكل الذين ولدوا وماتوا ، والذين سيولدون ويموتون واحد ؟

ألست تحس كأن مواكب الأجيال كلّها تزدحم وتتألب في كيانك ؟

[١] ميخائيل نعيمة : في مقدمة ديوان الجداول .

ألست ترى ضعف الضعيف في قوتك ، وضمة الوضيع في رفعتك، وحماقة الأحمق في حكمتك ، وقبح القبيح في جمالك ، وفقر الفقير في مالك ؟

أو لســـت تراك رفيقاً لكل وحيدٍ في وحدته ، ولكل غريبٍ في غربته، وشريكاً لكل آثمٍ في إثمه ، ولكل عالمٍ في علمه ؟

إن في هذا البيت وحده مثالاً جلياً للحقائق التي يدركها الخيال بوثبة واحدة ولا يدركها العلم بأجيال طويلة ، فمن ذا يلوم الشرق إنْ استسلم لوحي أنبيائه وتعلق بوحي شعرائه ، أو أعرض عن منقب آثاره وعلمائه .

(ألا أعطني الشعر ووجدانه ، وخذ العلم وبرهانه)

(فبين هذه " الجداول" ما تنســـاب روحي معه ، مترقرقة ، مترنمة مطمئنة جزلة بنور في عينيها وجمال عن جانبيها ، مرحة بحرية لا أرصاد ولا قيود ، ومدى لا آفاق له ولا حدود...) .

٢- جبران خليل جبران

ومما قاله الأديب جبران في إيليا أبو ماضي :

(... يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلم أبقى وأقدر من الجبال ، يصعد بعزم الروح ويتمسك بجبال غير منظورة ، ولكنها أمتن من سلاسل الحديد يتمسك بجبال الفكر ، ويملأ كأسه من عصير أرق من ندى الفجر ، يملأها من خمرة الخيال ، والخيال هو الحادي الذي يسير أمام مواكب الحياة نحو الحق والروح .

٣- جعفر الخليلي

تتبعت[١] كثيراً من الشعراء الذين لولا أبو ماضي ما عرفتهم إلاّ متأخراً وكنت – وأنا ما أزال صغيراً– أفضل هذا الشاعر على كثيرٍ من الشعراء الذين أقرأهم مع علمي بأني لم أبلغ المرحلة التي يحق لي أن أزن الشعر بمقاييسه وحدوده ، حتى إذا قطعت من العمر شوطاً وتسنى لي أن أُبدي الرأي وأدعمه، أو أفنده وأدحظه لحدِ ما وجدتني وأنا أستعرض

[١] صاحب جريدة الهاتف النجفية ، ضمن مقدمة ديوان الجداول .

الشـعراء ، لسـت مصـراً على رأيي في شـاعرية أبي ماضـي فحسـب ، وإنما قد ازددت ثقةً ويقيناً بأن المواهب التي خصّ بها هذا الشاعر لم ينلها إلاّ القليل من شعرائنا المعاصرين .

لا تسـتطيع أن تقرأ لأبي ماضـي قصـيدة واحدة من دون أن تقف على كل بيت وقفةً محفوفةً بالدهشة ، ومحاطةً بالتأمل في هذا المعنى الذي يسـتهويك كما يسـتهوي المنوم وسـيطه بالقوة المغناطيسـية ، ولا تنتهي من القصـيدة إلاّ وقد لعبت بك ألفاظها ، وأخذت منك معانيها مأخذاً لا تقوى على وصفه .

لقد عرّف الأدباء الشـاعر بمختلف التعريفات ، ووضـعوا للشـعر ضـروب المقاييس حتى حدث من جراء ذلك بعض الارتباك والتبلبل في معرفة الشـاعر والشـاعرية . ما الآن فقد أصبح بمقدورك فيما لو سئلت :

من الشاعر ؟.

أن تُجيب : كأبي ماضي وكفى ...

فالرجل الذي يستطيع أن يصور لك النسمة بلطفها ؛؛ والوردة بشذاها ؛ والحب بمعناه وألغازه ، والقبلة بطراوتها وحلاوتها ؛ لهو الشاعر الملهم الذي تبحث عنه .

هو الذي أشغل بفنه بالنا ؛ وملأ باسمه قلوبنا حتى لم يدع لنا فيه فراغاً .

إيليا أبو ماضي الذي خصّه الله بعبقرية كان من آثارها هذه القصائد التي تصلح كل قصيدة منها لأن تكون سِفراً خالداً للأدب العربي الحي.

٤- ويقول الشابي متأثراً بإيّليا في هذه القصيدة ، وذلك من قصيدة الشابي (في ظل وادي الموت) :

نحن نمشي وحولنا هذه الأكوان تمشي ، لكن لأية غايه ؟

نحن نمشي مع العصافير للشمس ، وهذا الربيع ينفخ نايه

نحن نتلو رواية الكون للموت ولكن ماذا ختام الروايه ؟

وفـــاته

وفـــاته

في يوم الأحـد ٢٤ من نوفمبر ١٩٥٧ – الثـاني من جمادى الأولى عام ١٣٧٧م نعى الشـاعر إيليا أبو ماضـي إذ توفي في نيويورك ، فحزن العالم كلّه لوفاته ، حزن لوفاة طفل قرية المحيدثة الغريب وصـاحب دكان (السـجاير) في مصـر الذي عشـق الأدب والشـعر ، وشـاعر الطلاسـم والطين ووطن النجوم، وسـواها من روائع القصـائد. والذي أسـهم في تطوير الشعر العربي : من حيث الموضوع والشكل حتى عدّ أحد رواد الحركة الشعرية الجديدة .. والذي عرض الكثير من المشكلات الإنسانية وناقشها في ملحمة الطلاسم الخالدة بصفتها مشكلة القضاء والقدر وموقف الإنسان منها ، والذي دعا إلى الطمأنينة والثقة والتفاؤل بالحياة والإيمان بجمالها الموهوب في مثل قوله:

أيهـذا الشـــاكي ومـا بـك داء كيف تغدو إذا غدوت عليلا
إن شرّ النفوس في الأرض نفس تتوقى قبـل الرحيـل رحيلا

- ولما توفي أبو ماضـــي أقيمت له حفلتا تأبين في بيروت ودمشق وقد كانت حفلة بيروت في قاعة الجامعة الأمريكية، التي غصت بالمدعوين .

وكان أول المتكلمين جورج صـيدح .. الذي رثى الفقيد بقصـيدة عصماء وكان من جملة ما قال .

من كـان كـل النـاس..في أثوابـه لأجـل من أن يخلع الأثوابـا
ذكراك في لبنـــان ذكرى موجـــة جنحت إلى أخذ البحار غلابا
هي دمعـــة عربيـــة لو لم تكن عربية لأضـــاءت الأنســـابا

- ثم تكلمت نـازك الملائكـة (رحمهـا الله) فوصـــفت حكمـة أبو ماضـــي ، ثم تلاها الشـــيخ عبد الله العلايلي ، فحلق تحليقاً لا يبارى وجال جولة في آفاق المعنى الخالد ، ثم تلاه ســـامي الدهان .. فحلل شعر الفقيد ووصف خروجه عن التقاليد البالية والصيغ المسكوبة في قوالب عتيقة أسماها شعر المومياء ..
- وأخيراً قال ميخـائيل نعيمـة كلمتـه فذكر بعض ذكريـاتـه مع الشاعر الراحل .

أمّا مهرجان دمشق ، فقد تكلم فيه أمجد الطرابلسي ، فقال: إن هذا الشاعر العظيم كان يحمل بين جوانحه ، الإنسانية كلّها بآمالها وآلامها ، ثم تلاه سليم حيدر فقال يخاطبه .

أفي الدار للنازحين التقاء وفي النازحين إلى الدار باب

ثم تكلمت السيدة وداد سكاكيني التي قصت حياة الرجل الفذ وحبه النقي الصافي للمرأة ، يسمو بها ويرتفع إلى مدارج الارتقاء والفضيلة ، واعتبرت من دون هؤلاء الفنانين المبدعين صحراء من غير ماء .

وقد منح الرئيس السوري آنذاك شكري القوتلي ، الشاعر المرحوم إيليا أبو ماضي وسام الإخلاص من الدرجة الممتازة ، كما نال وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عندما زار سورية عام ١٩٤٧ .

المحتوى

ت	الموضوع	الصفحة
١.	التمهيد.....	٥
٢.	حياة الشاعر.....	١١
٣.	مفهوم النزعة التأملية	١٧
٤.	أدب المهجر.....	٢٣
٥.	أنموذجات من قصائده.....	٣١
	كن بلسماً.....	٣٣
	هدية العيد.....	٤٠
	الغدير الطموح.....	٤١
	أنا وابني	٤٢
	أنت والكأس	٤٣
	لو أستطع	٤٤
	أقبل العيد.....	٤٥
	ذكرى.....	٤٧
	الطين.....	٤٨
	الطلاسم	٧٥
	العميان	٨١

ابتسم..... ٨٤
خصائص ومميزات شعر إيليا أبو ماضي.. ٨٩
دواوينه ٩٠
ومن أبرز اعماله النثرية ٩١
قصائد إيليا أبو ماضي المغناة..... ٩٢
أبرز الجوائز والأوسمة..... ٩٣
قالوا في الشاعر إيليا أبو ماضي..... ٩٧
وفاته..... ١٠٥
المحتوى..... ١٠٨